الكأس وصار حجراً أصفر فقلبه على البرجات حجراً يابساً أخذناه بأيدينا ونظرناه » [٣] . ويروى الجبرتى مثل هذه التجارب وكيف كان الفرنسيون يضحكون من دهشة المصريين أو جهلهم بما رأوا .

فلماذا وصف الجبرتى هذه المستجدات التى وفدت مع الحملة الفرنسية وعلمائها ؟ وما النحو الذى توجه إليه وصفه ؟ أكان ينقل ما يرى نقلَ مؤرخ محايد يكتب ما يرى بلا دافع أو إحساس خاص ؟ أم أنه شاء أن يدوِّن ما يرى من عجائب الحملة وأخبارها ما يصلح أن يكون زاداً يتزوَّد به أبناء وطنه فى مستقبل الأيام ؟ أغلب الظن أن الجبرتى لم يكن مؤرخاً محايداً فى نقل ما يرى لأسباب كثيرة منها أنه فى منهج كتابه « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » كان ينقل أخبار الوقائع والرجال ، يدوِّن الحوادث ويترجم لعظماء الرجال ويذكر مواليدهم وموتاهم ، ويروى أحوال الناس وأسباب ثوراتهم . هذا هو النهج الذى انتهجه منذ بدأ يؤرخ لمطلع القرن الثانى عشر الهجرى الثامن عشر الميلادى . فلما جاءت الحملة الفرنسية على مصر واتخذت من القاهرة مقراً للحكم وأحدثت فيها ما أحدثت من تغيير ، شغل المكانُ حيزاً هاماً فى كتابات الجبرتى عن هذه الفترة . والمكان ليس القاهرة بالصورة التى كانت عليها ، بل هو القاهرة